مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (3)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (3) 2016

مقرر الثقافة القومية في جامعات القطر بين الواقع والطموح

الدكتور فارس النداف*

(تاريخ الإيداع 22 / 2 / 2016. قبل للنشر في 31 / 5 / 2016)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث إلى تطوير المادة التعليمية في الجامعات السورية، من خلال مناقشة مفردات مقرر الثقافة القومية، الذي يدرّس حالياً لطلاب السنة الأولى في كليّات الجامعات الحكومية ومعاهدها، وذلك من خلال معرفة مقدار ارتباط هذا المقرر بالوضع الاجتماعي والسياسي ومحاولة تبيان النتائج المرجوة من تدريسه، أضف إلى ذلك محاولة البحث في العقبات التي يصطدم بها تدريس مفردات المقرر من خلال قبول الطلاب له واستيعابهم لمادته، ومحاولة الوصول إلى الأهداف التي يسعى إليها، والتي يمكن أن تتحقق لا على أساس دراسة مفردات مقرر الثقافة القومية كأمر واقع واعتباره مقرراً ثانوياً هامشياً مقحماً في العملية التعليمية الهدف منه هو الدعاية السياسية، وإنما الهدف الذي يسعى إليه هو إعداد جيل ذي شخصية متكاملة، ومتوازنة يستَوعِب معطيات العلم والتطور الحضاري، واعٍ، متفاعلٍ مع بيئته الاجتماعية، والأهم من هذا وذاك أن يكون مقتنعاً بالقومية العربية مؤمناً بأهداف أمّته العربية واعياً لأبعاد الصراع القومي المصيري ضد أعداء الأمة في داخل القطر وخارجه، مرجحاً الولاء للوطن في مواجهة الولاءات الأخرى المتعددة، التي منها الإقليمية، والطائفية والعشائرية والاثنية مدركاً للمؤامرة التي تستهدف القطر العربي السوري سياسياً واجتماعياً واقتصادياً متصدياً للإرهاب الذي يضرب بالمنطقة العربية.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب، الوعي، الوعي الثوري، الطبقة، الثقافة، القومية، الأيديولوجيا، الانتماء، الطبقي.

* أستاذ مساعد ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (3)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (3) 2016

Le sujet de la culture nationale dans les universités syriennes entre le réel et l'ambition

Dr. Fares Al Naddaf *

(Déposé le 22 / 2 / 2016. Accepté 31 / 5 / 2016)

□ Résumé □

Cette recherche vise à développer le sujet pédagogique dans les universités syriennes, en discutant l'A.B.C du sujet de la culture nationale qu'on enseigne actuellement aux étudiants de la 1ère année dans les facultés et les instituts des universités gouvernementales, à travers le savoir du rapport existant entre ce sujet et la situation sociale et politique ,et la tentative de montrer les conséquences désirées de son enseignement , et d'étudier les obstacles qui entravent l'enseignement de l'A.B.C de ce sujet et son assimilation de la part des étudiants , et l'essai d'atteindre les objectifs visés qui peuvent se réaliser non à travers de l'étude de l'A.B.C du sujet de la culture nationale étant un fait réel , en le considérant comme un sujet secondaire et marginale inséré dans le processus éducationnel, dont le but est la Propagande politique ,mais en vue de former une génération jouissant d'une personnalité parfaite et équilibrée, qui assimile les données scientifiques et le développement civilisé,une génération consciente ,qui en action avec son environnement sociale et politique , convaincue du nationalisme arabe , des buts de sa nation arabe et des dimensions du conflit national décisif contre les ennemis de la nation , qui fait prévaloir l'appartenance à la patrie sur toute autre appartenance régionale ,sectaire ou ethnique ,une génération consciente du complot visant la Syrie et qui fait face au terrorisme menaçant la région arabe .

Mots clés: Le terrorisme ,le conscient ,le conscient révolutionnaire ,la classe ,la culture ,le nationalisme ,l'idéologie ,l'appartenance ,l'appartenance hiérarchique

* **Professeur à l'université Tichrin, Département de la philosophie.**

مقدّمة:

أظهرت الأحداث التي عصفت بالدول العربية ومجتمعاتها في السنوات الأخيرة الماضية . التي اصطلح على تسميتها **(بالربيع العربي)** . هشاشة البنية الفكرية لهذه المجتمعات، وأظهرت أيضاً الواقع الثقافي المتدني الذي تعيشه الأجيال الناشئة، كما كشفت عن طغيان ثقافة الاستهلاك على حساب الثقافة القومية[1].

إنَّ الوقوف في وجه الغزو الثقافي أمرٌ ملحٌ وضروريٌ في هذه المرحلة؛ إذ تجتاح العالم ثورات مختلفة على الأصعدة كافة، والشباب هم أكثر الشرائح العمرية تأثراً بما يجري في وقتنا الراهن؛ لذلك نرى أنّ لا بدَّ من إعداد جيل عربي جديد ذي شخصية متكاملة ومتوازنة تستوعب معطيات العلم والتطور الحضاري وأن يكون هذا الجيل متشبّعاً بروح البحث والتفكير العلمي محبّاً للعمل محترماً له، ومدركاً لحقوقه وواجباته حريصاً على أدائها بروح الالتزام والمسؤولية ملتزماً بالنظام العام سلوكاً يومياً، مؤمناً بالقيم الإيجابية، وأن يكون مثقفاً واعياً لأبعاد الصراع القومي المصيري ضد أعداء الأمة مرشّحاً الولاء للوطن العربي، مؤمناً بالقومية العربية، وبأهداف أمته في تحقيق وحدتها القومية وتحرير أجزائها المغتصبة وإقامة مجتمع المساواة والعدل والتقدم.

إنَّ إعداد هذا الجيل ممكن إذا أحسنا توعيته وتثقيفه من خلال المناهج التعليمية التي يدخل في أساسها مقرر الثقافة القومية – موضوع هذا البحث.

مشكلة البحث:

إنّ المشكلة العلمية في مشروع البحث تتمثّل اليوم في الدور الكبير الذي تلعبه الثقافة القومية في تنشئة الأجيال في مرحلة التعليم الجامعي التي هي موضوع بحثنا، من خلال الوعي الثوري لدى الجماهير الكادحة الواسعة عن طريق غرس هذا الوعي في الأجيال الناشئة، فبمقدار ما تنجح مادة الثقافة القومية في تكوين هذا الوعي لدى الطلبة بمقدار ما تتعمّق حركة الثورة العربية أكثر فأكثر وتتحوّل إلى حركة راسخة الجذور في قلب الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

إن أهمية البحث تتجلى في محاولة التركيز على نقاط محددة لا بد من الانطلاق منها بهدف تثبيتها وتركيزها أهمها:

1- إبراز أهمية الثقافة القومية في توعية المجتمع وخاصة مجتمع الطلبة.
2- التركيز على دور الثقافة القومية في تحصين الطلبة من القوى الهدّامة التي تستهدف وجود الأمة.
3- الطلبة ودورهم في تحمل مشكلات الوطن والوقوف في وجه الهجمات المعادية.
4- غرس محبّة الوطن والدفاع عنه في مواجهة التحديات التي يتعرض لها الوطن.
5- الإسهام في القضاء على السلبيات في المجتمع العربي والانتقال به إلى مرحلة الحداثة والتقدم.
6- تعزيز الانتماء الوطني في مواجهة الانتماءات الإقليمية والعشائرية والإثنية.

[1] - خليل، عصام، الفكر القومي، مجلة المعرفة، العدد 619، نيسان 2015، صـ3.

أهداف البحث.

إنَّ الهدف الأساس لهذا البحث هو تطوير العملية التعليمية . في الجامعات الحكومية . من خلال تطوير مفردات هذا المقرر لتصبح أكثر التصاقاً بالواقع ومحاولة جعل الطلاب يُقدمون على دراسة هذا المقرر طوعاً دون إكراه من خلال شعورهم بأهميته وأهمية المعلومة التي يقدّمها للطالب، كذلك يهدف البحث إلى تطوير العملية التدريسية من خلال استخدام أساليب جديدة ومحاولة الابتعاد عن الأسلوب الخطابي السابق الذي أدى إلى الابتعاد عن هذا المقرر واعتباره ثانوياً الغاية منه هي الدعاية السياسية للنظام السياسي.

الدراسات السابقة:

إنَّ الأساس النظري والمنهجي للبحث منتقى من الكتب والدراسات السياسية في القطر العربي السوري التي عالجت بعض المسائل السياسية وتعرضت للسبب الذي من أجله يدرّس هذا المقرر، وقد تمّ استخدام المراجع القليلة التي تناولت جوانب هذه المشكلة متمثلة ببعض الدراسات والمحاضرات التي بحثت في موضوعات هذا المقرر وطرق تدريسه أيضاً.

ومن المراجع القليلة التي عثرنا عليها كانت محاضرة للأستاذ " **جلال فاروق الشريف** " ألقيت في المدرسة المركزية الحزبية في دمشق عام 1978 بحث فيها كاتبها مقرر التربية القومية الاشتراكية ما قبل التعليم الجامعي، ودراسة أخرى للدكتور "**فارس النداف**" تناول فيها طرق تدريس الثقافة القومية عام 1992، كما عثرنا على كتاب بعنوان الخصوصية في الثقافة القومية العربية، للدكتور " **إسماعيل الملحم**" الصادر عن اتحاد الكتاب العرب 1996[2] كما عثرنا على أطروحة دكتوراه إعداد " **مأمون أحمد إفليس**" بإشراف الدكتور آصف حيدر يوسف بعنوان تنمية المفاهيم السياسية بمادة التربية الوطنية لدى طلبة الصف العاشر، جامعة دمشق 2014[3] كما عثرنا على دراسة إعداد "**جمال غانم**" بإشراف الدكتورة صالحة سنقر مناهج التربية الوطنية وكتبها للحلقة العليا الابتدائية من دون تاريخ [4]، كذلك رسالة ماجستير إعداد " **مثقال خالد الخليل** " إشراف الدكتور إبراهيم المصري، بعنوان كتابي التربية الوطنية للصف السابع والعاشر جامعة دمشق 2014[5]، إلا أن هذه الدراسات لم تتطرّق إلى الثقافة القومية في مرحلة التعليم ما بعد الثانوي.

الإطار النظري للبحث:

1 - لمحة تاريخية عن مقرر الثقافة القومية الاشتراكية:

يُعدُّ إدخال مادة الثقافة القومية في مناهج التعليم في القطر العربي السوري، من الانجازات المهمة التي تحققت على صعيد تطوير هذه البرامج وجعلها منسجمةً مع الأهداف الأساسية للتخطيط التربوي في القطر، ولاسيما أنّ التخطيط التربوي هو جزءٌ من التخطيط العام للمجتمع في مختلف جوانبه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وعلى هذا الأساس فإنَّ مادة الثقافة القومية على الرغم من أنها تبدو مادة مستقلة في مضمونها وفي أسلوب تدريسها شأن بقية مواد المناهج، إلا أنّها في الحقيقة متصلة ليس بالأهداف الأساسية للتخطيط التربوي في القطر

[2] - الملحم، إسماعيل، الخصوصية في الثقافة القومية العربية، اتحاد الكتاب العرب، 1996، صـ3.

[3] - إفليس، مأمون تنمية المفاهيم السياسية لدى طلبة الصف العاشر، أطروحة دكتوراه، بإشراف د. آصف حيدر يوسف، جامعة دمشق 2014.

[4] - غانم، جمال، مناهج التربية الوطنية، أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتورة صالحة سنقر، من دون تاريخ.

[5] - الخليل، مثقال خالد، كتابي التربية الوطنية للصف العاشر والسابع رسالة ماجستير، إشراف د. إبراهيم المصري، جامعة دمشق، 2014.

فحسب، وإنّما أيضاً بمجمل التخطيط العام للمجتمع، بل بما هو أبعد من ذلك. إنها مرتبطة بالقضية الأساس للجماهير العربية كلّها ألا وهي قضية إنجاز الثورة العربية التقدمية المعاصرة وإقامة المجتمع العربي الموحد.

لقد كان من أولى الانجازات التي حققها تطويرُ المناهجِ في القطر العربي السوري بعد الجلاء عام (1946) هو إدخال مادة التربية الوطنية في صفِ الشهادة المتوسطةِ، ثم جرى تطوير ذلك حتى شمل تقديم معلوماتٍ وطنية مبسطةٍ في صفوفٍ عديدةٍ في المرحلة الإعدادية وما بعدها.

ومادة التربية القومية في شكلها الراهن تُعدّ أعلى أشكال تطوير مادةِ التربية الوطنية. فبعد أن كانت تلك المادة تقتصرُ على تقديم معلوماتٍ عامةٍ غير ملتزمة عن المجتمعِ والأمةِ والوطنِ والدولةِ، وأنظمة الحكم بأشكالها المختلفة وغير ذلك. أصبحت مادة الثقافة القومية تمثلُ اليومَ الخلفية الأيديولوجيةَ التي يجب أن تتوافر لدى كلّ مواطن. ومن دون هذه الخلفية تظلّ الأجيالُ مهددةً بالضياع بسبب انعدام الوعي وتشتته وتركِه في مهبّ مختلف أشكال المؤثرات الثقافية الداخلية والخارجية المعادية لالتزامِ المواطنِ بقضايا وطنهِ وأمتهِ. فإذا لم تترسّخ هذه القضايا في القلوب والعقول وإذا لم تنتقل من جيلٍ إلى جيل على أعلى مستوى من الوضوح ومن الارتباط بمختلف مراحل تطور نضال الجماهير العربية من أجل قضيتها في الوحدة والحرية. تفقد هذه القضية قواعدها الجماهرية الثابتة والواعية وتنفصل عن هذه الجماهير، ومن ثم تصبح قضيةً تحملها (النخبة) المنفصلة عن الجماهير بدلاً من أن تحملها الطليعة القومية، المنبثقة عن الجماهير المرتبطة بها والملتزمة بقضاياها، فكما انبثق حزب البعث من الجماهير فإنه سيظلّ حريصاً على أن تبقى الجماهير رافده الوحيد. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بنشر الثقافة القومية وترسيخها في الأجيال. فهذه هي الضمانة الوحيدة والأكيدة لانتصار قضية الأمة العربية.

إنَّ تزويد الأجيال الناشئة بهذه الخلفية الأيديولوجية مسألةٌ حاسمةٌ، بل مسألةٌ مصيريةُ يجدر أن يحملها المقتنعون بها **الأيديولوجية الثورية** بكلّ جدارةٍ وأن يرسخوها في هذه الأجيال[6].

يشكل حزب البعث بمنطلقاته القومية النظرية النضالية الثورية للجماهير العربية في نضالها من أجل التحرر والتقدم وبناء الوحدة القومية في ظلّ الاشتراكية وهذا ما يعبّر عنه بشعار **(المجتمع الاشتراكي الموحّد)**.

وتهدف الثقافة القومية إلى غرس هذا الفكر في الأجيال الناشئة، إن فكر حزب البعث يقوم على الربط بين مسألتين أساسيتين تشكلان جوهر قضية الثورة العربية واستقلالها وبناء وحدتها القومية. **أولهما:** المسألة القومية والتي هي مسألة تاريخية ظهرت مع ظهور اليقظة العربية في القرن التاسع عشر ولا تزال الأجيال تناضل من أجلها، لأنها مسألة وجود أولاً ومسألة حاضرة ومستقبلية في مواجهة أعداء الأمة من المستعمرين والصهاينة. **وثانيهما** المسألة الاشتراكية التي هي أعلى أشكال تطور هذا المجتمع وهي بالنسبة للجماهير الكادحة طريقها الوحيد للخروج من التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تقضي على البؤس وتنقل المجتمع العربي إلى الثورة الصناعية لتسهم الأمة العربية في تأدية رسالتها الحضارية.

لقد أعطى الحزب المسألة القومية والمسألة الاشتراكية أبعادها الثورية فجعل من مسألة القومية مسألة الجماهير الكادحة كما جعل من المسألة الاشتراكية مسألة الأمة العربية كلّها[7].

[6] - ينظر، الشريف، جلال فاروق، محاضرة في التربية القومية، المدرسة المركزية الحزبية، التل، ريف دمشق، 1977، صـ 2.
[7] - ينظر، النداف، فارس، محاضرة بعنوان تدريس الثقافة القومية، 1992، صـ 4.

2- الوعي الثوري:

إن الهدف من تدريس مادة الثقافة القومية هو خلق الوعي الثوري لدى جماهير الطلبة. وهذا الوعي ينطلق من الانتماءين الانتماء القومي والانتماء الطبقي وهذان الانتماءان يمرّان بمرحلتين رئيستين، الانتماء الطبيعي والانتماء الإرادي.

ونقصد بالانتماء الطبيعي الانتماء الذي كونته الظروف الاجتماعية، والانتماء الإرادي هو محاولة رفع الانتماء الطبيعي إلى مرتبة الانتماء الإرادي عن طريق الوعي الثوري وهذه هي مهمة الثقافة القومية، وبهذا الانتماء يمكن أن تتحول حركة الجماهير العربية من العفوية إلى حركة واعية منظّمة. ولا جدوى من الانتماء الطبيعي ما لم يتحوّل إلى انتماء إرادي ثوري. وقد تتخذ الجماهير مواقف معادية للحزب الذي يمثل مصالحها، بحكم تخلفها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وتأثرها بالطبقات المسيطرة المستغلة (هناك أمثلة متعددة حدثت في العالم الثالث) ولعل ما يحدث اليوم في سورية هو خير دليل على ذلك.

فنحن نجد الكثير من الجمهور والطلبة والجماهير الكادحة الفقيرة وبعض الطلبة ذات المنبت الطبقي الكادح اصطفوا إلى جانب أعداء الثورة والحزب، علماً بأن ثورة آذار هي ثورتهم، والحزب هو حزب الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين، والغريب أيضاً أن نجد مجموعة كبيرة من هؤلاء أصبحوا معادين للثورة والحزب وقد وصل الأمر ببعضهم إلى أن حملوا السلاح في مواجهة من يدافع عنهم وعن مصالحهم. قد يكون سبب ذلك ضعف الوعي لدى هذه الفئات وقد يكون التحريض الخارجي من الدول المعادية سبباً في تضليلهم، فالطائفية والإقليمية والعشائرية وسائر أشكال العلاقات المتخلفة في المجتمع العربي هي المسؤولة عن ما يحدث اليوم.

فالانتماء الإرادي القائم على الوعي الثوري هو الكفيل بتصفية هذه العوائق ومن هذا المنطلق فإنه بمقدار ما تنجح مادة الثقافة في تكوين هذا الوعي الثوري لدى الأجيال الناشئة تتعمق حركة الثورة العربية في قلب الواقع الاجتماعي والاقتصادي.

3- دور الطلبة:

لا شكّ أنّ للطلاب وللمثقفين دوراً مهماً في نهضة الحركة الاجتماعية والثورية ولاسيما في بلدان العالم الثالث نظراً إلى تفشي الأمية في بعض صفوف الجماهير وتخلفها على الصعيد الثقافي وكذلك لعدم وجود طبقة عاملة صناعية حديثة، وكون أغلبية الجماهير من الفلاحين الفقراء أميين وغير قادرين على قراءة منشور سياسي أو أية مادة ثقافية.

إنَّ دور المثقفين في بلدان العالم الثالث ذو طبيعة مزدوجة متناقضة فهم كمثقفين خارج عملية الإنتاج المادي المباشر. وبالتالي فإنَّ مصالحهم لا ترتبط مادياً بمصالح هذه الجماهير أضف إلى ذلك أن معظم انتماءاتهم هي انتماءات للأجهزة البيروقراطية التابعة لسلطة الدولة. وبالتالي فإنَّ التزامهم بالحركة الثورية ليست له جذور مرتبطة بمصالحهم المادية المباشرة. وإذا استثنينا الفئات الملاصقة للجماهير وفي مقدمتهم المعلمون الذين هم بناة حقيقيون يبنون الإنسان والوطن، فإن التناقض في واقع المثقفين هو أن الحركة الثورية في بلدان العالم الثالث بحاجة إليهم على أساس أنهم هم الفئات المتعلمة والأكثر وعياً على الرغم من انتمائهم إلى الجماهير الكادحة بحكم مصالحهم [8] ويكون السبيل لاستفادة الحركة الثورية من إمكاناتهم بضرورة خلق الوعي الثوري لديهم عن طريق إقناعهم كي يتحولوا إلى مثقفين ثوريين يناضلون في صفوف الجماهير وهنا لا بدّ للثقافة القومية في المرحلة الجامعية أن تتوجه نحو هذا

[8] - ينظر، الشريف، جلال فاروق، محاضرة في التربية القومية، صـ 6.

الهدف، فإذا ما زرعنا بذور الفكر التقدمي في صفوف الطلبة فإن العمل الثوري سيشكل قاعدة واسعة من المثقفين التقدميين الذين يلتزمون به نضالياً. والثقافة القومية الجدية والفعّالة يمكن أن تؤدي إلى انسلاخ الطلبة عن مصالحهم المادية المباشرة والتزامهم بالحركة التقدمية.

4- المواضيع الأساسية للثقافة القومية:

أ- **المسالة القومية:** يقصد بالمسألة القومية الوجود الراهن للشعب العربي على امتداد وطنه كاستمرار للتطور التاريخي للأمة العربية منذ ظهورها حتى فجر العصر الحديث بخصوصيات المجتمع العربي من حيث المضمون السياسي والحضاري وبكلّ مراحل التطور التي مرّ بها؛ فمن مرحلة ما قبل الإسلام إلى مرحلة الإسلام و مرحلة الخلفاء الراشدين ومرحلة الأمويين ومرحلة العباسيين ومن ثم عصور الانحطاط.

ب- واقع الأمة العربية في العصر الحديث:

وتتضمن هذه الفترة التي تمتدّ من الثورة العربية الكبرى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية وتتلخص معطيات هذه المرحلة في التجزئة، احتلال فلسطين، الاستعمار القديم والاستعمار الحديث الامبريالية، وتخلف المجتمعات العربية. ومن ثم ظهور الوعي القومي العربي، (**فترة الربيع العربي**) بما تحمله من تناقضات واضطرابات وتفرقة داخل القطر الواحد وتجزئة لا بل وتجزئة المجزأ.

ج- الوحدة العربية: وندرسها من مفهوم حزب البعث العربي الاشتراكي ودور الحزب في إقامتها ولقاء قوى الثورة العربية والتحديات التي تواجه إقامتها. ونركز على الوحدة في الداخل والخارج ومن ثم مفهوم حزب البعث العربي الاشتراكي للدولة العربية الواحدة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

د- الحرية: تنطلق قضية الحرية من مسألة إقامة الديمقراطية في ظلّ المجتمع العربي الاشتراكي الموحّد بعد التحرر من السيطرة الخارجية وإسقاط جميع أشكال علاقات الاستغلال الاقتصادي وتصفية علاقات التخلف الاجتماعي، كذلك نركز في موضوع الحرية على المنطلقات النظرية والديمقراطية الشعبية ومؤسساتها المتمثلة في مجلس الشعب، والإدارة المحلية، والمنظمات الشعبية.

و- الاشتراكية : ندرس الفكر الاشتراكي عند فلاسفة اليونان أفلاطون وأرسطو – الفكر الاشتراكي العربي والاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية – وضرورة الاشتراكية بالنسبة إلى المجتمعات العربية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ثم الطريق العربي إلى الاشتراكية مع التركيز على الوسائل والسبل[9].

1 حزب البعث العربي الاشتراكي وثورة 8 آذار، التصحيح، مسيرة التطوير والتحديث، التصدي للإرهاب:

- مفهوم الحزب الثوري – النظرية الثورية – الديمقراطية الاشتراكية – المنظمات الشعبية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي وأهدافه كتجسيد لأهداف الثورة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية.
- التلازم بين النضالين القومي والاشتراكي على أسس علمية.
- نشوء الحزب وواقع القوى السياسية الأخرى.
- مُوجز التاريخ النضالي للحزب (1943-1973).

[9] **- ينظر، د. النداف، فارس، محاضرة بعنوان تدريس الثقافة القومية، صـ 8.**

ثورة الثامن من آذار 1963:

1- ظروف قيام الثورة في القطر السوري والواقع العام وتطور تجربة قيادة الحزب للدولة والمجتمع والمراحل التي مرّت بها بدءاً من مرحلة التأسيس إلى مرحلة الانطلاق ثم التصحيح وبعدها التحديث والتطوير، ومرحلة التصدي للإرهاب*.

2- تطورها السياسي بين عامي (1963-1967).

3- أهم منجزاتها على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

4- دورها في مواجهة الامبريالية والصهيونية والرجعية.

إنَّ هذه الخطوط العامة التي أوردناها تطرحُ القضايا الأساسية في الثقافة القومية الاشتراكية التي تضطلعُ الثقافة القومية بتقديمها كأساس لتكوين وعي ثوري عربي لدى الطلاب وهذه الخطوط العامة هي الأساس في مقرر الثقافة القومية.

رابعاً- الثقافة القومية في ظل الأحداث والمتغيّرات على الصعيد الداخلي متمثّلة بالإرهاب ومن يقف وراءه من تحالفات ودول:

1- الربيع العربي:

لقد أثارت الأحداث الأخيرة في المنطقة العربية للمرة الأولى أسئلة تتصل بمسألة الهوية في بلدان كانت ترى وجودها جزءاً من وجود أبعد وأعمق يمتدّ ويتواصل في العروبة عبر مراحل التاريخ، على الرغم من الفواصل الجغرافية.

لكن السؤال الآن هل كانت الهوية مسألة محسومة في الذهن والوجدان العربيين أو تمَّ إقرارها ظاهرياً؟ الحقيقة إن تشظي المجتمعات العربية اليوم قد أسهم في بروز بعض الانتماءات، التي لم نراها من قبل، أو لم نعترف بوجودها. لكن هل تمكَّن الفكر من التصدي، بكفاءة وإقناع للأسئلة التي كان يفترض أن يجيب عليها بوصفها تساؤلات مشروعة، يتلمسها العقل سعياً إلى تكوين قناعات نهائية، تتمكن من استيعاب تطلعاته وطموحاته ليكون فاعلاً بحيوية في مجتمع يجابه كثيراً من المعوقات والتحديات المتعلّقة بالتنمية، بكلّ مفرداتها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية؟ (10).

نحن لا نسأل لمجرد السؤال فنحن قبل غيرنا معنيون بالإجابة لأننا نأمل أن نتمكن في تكوين إجابات يستوعبها الواقع ويطمئن لها العقل، وذلك من خلال رسم مسارات تساعد جيلاً هزّت الأحداث قناعاته بقسوة، ليؤسس مستقبله على أرضية صلبة ثابتة بعد أن يدرك طاقاته الكامنة ويعي مقدرته في تصويب مسارات التاريخ ومحاولة إعادة تكوين مستقبله برؤية عربية متكاملة، بهدف تدعيم الاتجاه الذي عملت سياسات وأنظمة وحكومات على استبعاده من أولويات الذهن العربي، وعملت على زجّه، وتشتيته في معارك هامشية جانبية، تستبعد أعداءً مفترضين وتتحالف مع الأعداء الحقيقيين لمواجهة المفترض.

والحقيقة إن الصراع الحقيقي في منطقتنا العربية يدور بين مشروعين متناقضين مصيرياً ولا يمكن أن يستقر أحدهما على حساب الآخر وهما المشروع العربي والمشروع الصهيوني بصوره وأشكاله المتعددة والمتحالفين معه سواء في الداخل أي داخل الوطن العربي وبالتالي داخل القطر السوري والمتمثلين بالإرهاب، والمؤيدين لهم على الصعيد الإقليمي والدولي متمثلين بالولايات المتحدة والصهيونية ومن يدور في فلكهما من الدول الامبريالية ومن دول الرجعية

*** مرحلة التأسيس من 8 آذار إلى 23 شباط 1966. مرحلة الانطلاق من 23 شباط 1966 - 16 ت 1970.مرحلة التصحيح من 16 ت 1970 إلى 10 حزيران 2000. مرحلة التحديث والتطوير من 10 حزيران حتى عام 2011. مرحلة التصدي للإرهاب من آذار 2011 ولا زالت مستمرة إلى الانتصار الكامل على الإرهاب.**

10 - ينظر، خليل، عصام، الفكر القومي، مجلة المعرفة، العدد 619 نيسان، 2015، صـ.

العربية؛ فالمعركة مع المشروع الصهيوني أخذت أشكالاً متعددة منها الثقافي والاقتصادي والعسكري؛ وإذا ما طرحنا الموضوع على **الصعيد الثقافي** فإننا نجد أن الولايات المتحدة حاملة المشروع الصهيوني خرجت علينا بدعوى تجفيف منابع الإرهاب المادية والمعنوية والثقافية والروحانيّة [11] وبدأت منذ أواسط عام 2007 بمطالبة الدّول العربيّة بتعديل مناهج التّربية والتّعليم، وخاصة التربية الدينية والوطنية والقوميّة، محدّدة طلباتها بإلغاء التّربية القوميّة، وإلغاء فكرة العروبة من المناهج الدراسية، وطالبت بوضع مقرر بديل عن كلّ ذلك هو تربية التّسامح الذي سرعان ما طبقته مصر، وتسعى بعض الدُّول العربية بطريقة أو بأخرى إلى تطبيقه. إن مطالبة الولايات المتحدة وبشكل صريح من خلال قنوات متعددة بإلغاء التربية القومية هذا المقرر الذي يدرس في القطر العربي السوري في المراحل التعليمية كافة كان نتيجةً طبيعيةً لما يسهم فيه هذا المقرر من تعزيز الشعور القومي والوطني ومن شحذ الهمم للوقوف في وجه المشروع الصهيوني وفي الطرف الآخر نجد أن الولايات المتحدة والصهيونية وعملاءهم في داخل الوطن يقودون هجمة شرسة على هذا القطر ليس على المستوى الثقافي والاقتصادي وإنما على **المستوى العسكري** أيضاً بهدف إسقاط نظامه السياسي، فالأحداث الجارية في الوطن العربي على مدار السنين والشهور الماضية عملت على إحداث تغييرات واضحة فيه، وحملت تسميات متنوعة مثل "احتجاجات"، "تظاهرات"، "انتفاضات"، "ثورات"، "عصيان"، إلا أن الجزء الأعظم من الأحداث السياسية التي جرت وتجري في المنطقة خلال هذه الفترة قد نال بالنتيجة وصفه كثورة وقد اتفق على تسميته من قبل الكثيرين بـ" **الربيع العربي**". لكن أيٌّ من التسميتين السابقتين لا يمكن إطلاقها بناءً على النتائج الفعلية للأحداث في كلّ دولة من الدول كلٌّ على حدى؟، ومع ذلك يبقى السؤال الأهم الذي يمكن طرحه: هل ترقى التصرفات والأحداث التي تجري في المنطقة إلى مستوى الثورة[12]؟

2 –**ماهية الثورة الحقيقية:** هناك (ثورات) شهيرة على مرّ التاريخ ومن أشهرها وأبرزها الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر التي بدأت في بريطانيا وانتشرت لتعمّ العالم. وقد كان ينظر إليها كثورة بسبب التغيير الجوهري الذي أحدثته في العالم من خلال إدخال الآلة والتصنيع إلى الثقافة الإنسانية. وثورة الطاقة التي سهلت تطوير السفن التجارية والسكة الحديدة من ضمن كثير من الأشياء، وقد تركت هذه الثورة أثراً عميقاً وجذرياً في البنى السياسية والثقافية والاجتماعية في مختلف أرجاء العالم. والثورة الفرنسية (1789) التي تعدّ مثالاً آخر على ما نناقشه في هذا المقال؛ إذ حدثت تلك الثورة في فترة كانت فرنسا وأوربا والعالم قاطبة يشهد تغييراً راديكالياً على المستوى الاجتماعي والسياسي، وعلاوة على التأثيرات والنتائج التي حدثت في فرنسا فإنّ الملكية قد انهارت تلك الملكية التي حكمت البلاد لقرون عدّة. وقد مهدت هذه الثورة السبيل من أجل التعريف الدستوري لقيم عصر النهضة بالنسبة لمواضيع مثل قضية المواطنة وحقوق الإنسان التي لا يمكن إنكارها. وغالباً ما يُنظر إلى الثورة الفرنسية على أنها فجر العصر الحديث وما زالت حتى اليوم تعدّ واحدة من أهم الأحداث في التاريخ الإنساني ويمكن الإشارة أيضاً إلى الثورة الروسية (البلشفية) عام (1917) على أنها من أهم أحداث التاريخ البشري مع انهيار دولة القيصر وقيام الاتحاد السوفييتي [13] وهي على الرغم من كونها ثورة وطنية، إلا أنها تحكمت بتوجيه التاريخ الإنساني في القرن العشرين.

[11] - ينظر، عزت، أحمد، قضايا الفكر العربي المعاصرة، جامعة تشرين، اللاذقية، 2008، صـ 44.

[12] - Nath Aldalala a, Arab Revolutions III, usions of Hope And Delusions of Possibility. Countercurrents 20 August, 2011. ص43– دمشق 2011 ،9-8 العدد صفاف مجلة سليمان، حسون، :ترجمة

[13] - ينظر، المرجع السابق، صـ 44.

3- الثورة بنتائجها وليس بأحداثها:

إن تسمية الأحداث الأخيرة التي تجري من "**ثورات**" في العالم العربي باسم "**الربيع العربي**" هو نوع من التضليل، وقد يؤدي تبني مثل هذا التصور أو التسمية إلى تقويض التطور والنمو في هذا الجزء من العالم. فعبر التفسير غير الناضج لموجة الاحتجاجات هذه التي تجتاح الوطن العربي، والنظر إليها على أنها ثورات يمكن للمرء أن يجنح للاعتقاد أنها بالنتيجة فعلاً ثورات. أي يتوصل إلى نتيجة ذات تأثير تغييري أساس وبعيد المدى عن الأنظمة السياسية في العالم العربي مما يوفر أو يعزز فعلياً فرصة التغيير وبروز الإمكانات داخل تلك المجتمعات العربية؛ فتعريف الثورة يتمّ من خلال نتائجها وليس من خلال أحداثها.

والحقيقة حتى الآن لا يرقى جوهر الأحداث الجارية عبر المنطقة إلى تغيير أساس يمكننا بناءً عليه القول إنها ثورات. لذلك، وفي هذه المرحلة لا بدّ أن يطالعنا سؤال مثل: ما هي بالضبط أهمية الأحداث الأخيرة وما هي دلالتها وما قيمة الاضطرابات التي تجري في العالم العربي، وإلى أين؟ أو يمكننا طرح سؤال آخر يقول: هل أسهمت الاحتجاجات المتوالية في التحريض أو ضغطت على زناد التغيير ذي الطبيعة العميقة جداً أو حتى العميقة على الأقل؟ بالطبع سيكون جوابنا المنطقي على أي من السؤالين السابقين " لا " وعلى الرغم من إدراكنا بأن هناك بعض التغيّرات الحيوية التي حدثت وتحدث في الحياة السياسية والاجتماعية إلا أن التظاهرات والاحتجاجات التي تشهدها المنطقة لم ترقَ بعد لتصبح انتفاضات بالمعنى الصحيح والدقيق للكلمة[14].

إنَّ الصحوة العربية هي قصة ثلاث معارك اجتمعت في معركة واحدة نلخصها بجمل ثلاث هي على التوالي: بعض الناس ضد الأنظمة، والناس ضد الناس، والأنظمة ضد أنظمة أخرى[15].

كتب ميشال شوسودفسكي أستاذ الاقتصاد في جامعة أوتاوا عن العنف في سورية فقال: " **ما هو واضح من التقارير الدولية هو أن العديد من المتظاهرين لم يكونوا سلميين، ولكنهم إرهابيون متورطون في أعمال قتل عمد وحرق وتخريب**". وأشار أيضاً شوسودوفسكي إلى أن الأحداث في سورية كانت في بدايتها تنطوي على الدعم الكامل للإرهابيين التكفيريين من قبل الموساد أو استخبارات غربية، وذكرت مصادر حكومية تورط مجموعات سلفية متطرفة مدعومة من إسرائيل، وأشارت تقارير أخرى إلى أن دول الخليج وخصوصاً السعودية أسهمت في تمويل حركة الاحتجاج، ولعل هذا ما أشار إليه " **جيرمي سالت**" أستاذ التاريخ السياسي للشرق الأوسط في جامعة بلكنت؛ إذ قال: "**المجموعات الإرهابية في سورية مسلحة تسليحاً جيداً ومنظمة بشكل كبير، وقد تمّ تهريب شحنات كبيرة من الأسلحة إليها من لبنان وتركيا**"[16]. وأضاف شوسودوفسكي إن الهدف من ما يحصل داخل سورية هو خلق انقسامات داخل المجتمع السوري ليبرر من نهاية المطاف التدخل الإنساني.

4- الإرهاب المناهض لسورية وصلاته الدولية:

منذ بداية الربيع العربي، والحكومة في سورية تحارب الإرهاب والعصابات الإرهابية المسلحة، في الوقت الذي تشجب فيه غالبية وسائل الإعلام العربية هذه الفرضية على الرغم من أن ما تتحدث عنه الدولة السورية ليس كذباً،

[14] - ينظر، المرجع السابق، صفحة 45.
[15] - المرجع السابق، صفحة 69.
[16] - Medilens- صحفي بريطاني متخصص في الشؤون الإعلامية "ليبيا، سورية... وتدخل الناتو، ترجمة: هناء شروف، مجلة صفاف،، صادر عن دار البعث بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، دمشق، العدد 8-9، 2011، صـ 14.

وهناك مجموعة من العناصر الموضوعية تؤيد فرضيتها، يأتي في مقدمتها عامل العلمانية، وللإعلام فإن سورية هي من بين آخر الدول العربية العلمانية[17].

كما أن الأقليات الدينية فيها تتمتع بالحقوق نفسها التي تتمتع بها الغالبية المسلمة[18].

وفيما يخصّ الأصوليين ممن هم أبطال " **الحرب ضد الآخر** "... مهما كان ذلك الآخر، فإن العلمانية في العالم العربي ومبدأ التساوي بين الأديان، من الأمور التي لا تتوافق مع " **الشريعة** " الإسلامية على ما يبدو، كما تعدّ العلمانية ظلماً وإهانة للإسلام لأنها . كما يرون . تنافي مبادئ الإسلام، وتجعل من الدولة السورية دولة مقيتة أكثر من أوروبا "**الملحدة**" أو "**المسيحية**" ففي سورية ما لا يقلّ عن عشر كنائس مسيحية مختلفة، ويوجد مواطنون من الطائفة السنية، عرب وأكراد وشركس وتركمان، ومسيحيون من غير العرب: الأرمن والآشوريون (**المشرقيون**)، وأيضاً مسلمون من أصحاب الطوائف التوفيقية غير المصنفة كالعلويين والموحدين الدروز، وبالنتيجة فإن المهمة التي تؤكد صيانة ومواكبة هذه البنية الدينية العرقية الهشّة والمعقدة تبدو شاقة جداً، ووحده نظام علماني قوي يستطيع تحقيق ذلك، كما أن هناك العامل الطائفي، فقد تمّ وصف النظام السوري بالطائفية بإسراف وهذا الوصف عارٍ عن الصحة، وافترائي، ويحمل طابعاً طائفياً، ومتعصباً لأن الطوائف كافة ممثلة بالسلطة، وقد لوحظ أن وسائل الإعلام الغربية تتجنب . عن عمد . ذكر نائبة الرئيس نجاح العطار، التي هي المرأة الأولى، والوحيدة في العالم العربي التي تشغل منصباً بهذا المستوى[19]؛ لذا فإن جهاز الدولة في سورية يعدّ في الواقع بمنزلة الانعكاس للكمال شبه التام للتنوع العرقي الديني السائد في سورية.

وبالنظر إلى النتيجة الطبيعية لفكرة القومية العربية والعروبة، فإن هذه الفكرة التقدمية للوحدة والتضامن العربي هي بالأحرى تدنيس للمقدسات لأنها تقوض فكرة "**أمة الإسلام**".

وقد ذكر السيد الرئيس بشار الأسد في مقابلة له مع صحيفة صنداي تلغراف أن: " **المعركة التي تجري حالياً على الأرض السورية هي بين تيارين متناقضين هما: تيار العروبة وتيار الأصولية الإسلامية** "[20]، وقد شكّل هذا النزاع المتأصل عاملاً تاريخياً ومؤسساً للتهديد الإرهابي في سورية. فمنذ ثورة الثامن من آذار (1963) تخوض الدولة في سورية حرباً حقيقة ضد الحركات الجهادية، ففي عام (1964) وفي عام (1982) والآن منذ عام (2011) إلى يومنا هذا ومازال مستمراً في التصدي للإرهاب، فالدولة السورية تواجه العديد من الحركات الإرهابية ممثلة في الجبهة اللبنانية المكونة من 1- مجموعة الضنية، 2- فتح الإسلام، 3- جند الشام، 4- عصبة الأنصار. الجبهة الأردنية، الجبهة السعودية، الجبهة القطرية، الجبهة العراقية، القاعدة، جبهة النصرة لأهل الشام، الجبهة التركية وغيرها من الحركات والعصابات الإرهابية التي تقاتل الدولة في سورية. والخلاصة أصبح الإرهاب المناهض لسورية واقعاً بالمعنيين الحرفي والمجازي وكان ظهوره سابقاً على الربيع العربي.

---

[17] - يجب أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً، وقد تمّ الإبقاء على هذه المادة في الدستور على الرغم من تعديل الدستور السوري مؤخراً، وذلك بهدف عدم تنفير الغالبية المسلمة في البلد.

[18] - Bahar Kimyongur, Le l-errorisme- anl-I - Syrien el- ses Connexions inl-ernationales Investig, Action ترجمة حسان هاشم، المصدر مجلة صفاف، تصدر عن دار البعث بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، سورية، دمشق. 17 avril 2012.

[19] – ينظر، المرجع السابق، صـ 20.

[20] - صحيفة صنداي تلغراف، تاريخ 29 تشرين الأول 2011.

خامساً: واقع تدريس الثقافة القومية: العقبات التي تواجه الطالب:

لقد تمّ الإشارة في القسم الأول إلى أن الغاية من تدريس الثقافة القومية الاشتراكية تكوين وعي ثوري لدى الأجيال الناشئة من المتعلمين عن طريق تثقيفهم بإيديولوجية حركة الثورة العربية[21].

إن هذه المهمة التثقيفية التي تمثلها الثقافة القومية تطرح جملةً من القضايا النظرية والعملية على حد سواء. وقبل أن نحاول تحديد هذه القضايا وطرحها والدخول في تفاصيلها لا بدّ من إيراد بعض الملاحظات حول الواقع الراهن لتدريس الثقافة القومية كما هو ملموس في معظم الجامعات والمعاهد والكليّات.

إنَّ الملاحظة الأساس التي يمكنُ أن تطرح بهذا الصدد والتي يمكن تسجيلها هي أن واقع تدريس هذا المقرر ظلّ حتى اليوم يتّسم على وجه العموم بالارتجال، ولا تقتصر هذه السمةُ على مضمون المادة الدراسية التي تقدم وإنما على أسلوب التدريس أيضاً.

أولاً: من حيث المضمون:

1- تشتت المادة الدراسية نتيجة عدم التقيّد ببرنامج واضح ومحدد.

لقد نشأت هذه السلبية بصورة رئيسة بسبب عدم التّقيّد ببرنامج واضح ومحدّد يعتمد عليه المدرسون والطلبة على حدٍّ سواء في مقرر الثقافة القومية وأدى هذا بدوره إلى العجز عن القيام بالتوعية الأيديولوجية والسياسية على الوجه الأكمل فليست ثمة مادة مكتوبة محكمة ومنسجمة ومترابطة يمكن عن طريق إعطائها تكوين الخلفية الأيديولوجية والسياسية المطلوبة فالمقرر في وضعه الحالي يتضمن مواضيع غير مترابطة، لا يوجد تركيز في إعدادها، وهدفه الذي يسعى إليه غير واضح.

أضف إلى ذلك أن المادة لا تقدّم معلومة سهلة يقبلها الطالب ولاسيما أنَّ الطالب الجامعي الآن غير الطالب الجامعي في السنين الماضية فالتقدم الذي حصل في وسائل الاتصال الجماهيري جعل من العالم قرية صغيرة وأصبح الطالب الجامعي يستطيع أن يجمع ما يكفي من المعلومات حول قضية معيّنة باستخدام وسائل الاتصال الحديثة، فلم يعد من الممكن أن تقدم له المعلومة كما كانت تقدّم سابقاً، لأنه أصبح قادراً على التحليل؛ لذا فلا بد من مراعاة هذه الأمور ولا بدّ لنا من أن نضع له المعلومة بشكل يستطيع استيعابها، وفي الوقت نفسه تحقق الهدف الذي وجدت من أجله؛ لذا فإنّ عملية تقديم المعلومة واختيار المواضيع يجب أن يتمّ بعناية وتركيز وهذا يتطلب بدوره إحاطة جدية وشاملة بإستراتيجية الثورة العربية حتى يمكن تحديد موقع هذه القضايا منها. ومن دون معرفة هذه الإستراتيجية أو خطواتها العامة يتعذر تكوين رؤية واضحة وصحيحة لهذه القضايا المطروحة.

2- غلبة الطابع السياسي الراهن والمباشر على مضمون المحاضرات:

لما كانت مادة الثقافة القومية هي بالأساس . كما قلنا . ذات مضمون أيديولوجي سياسي؛ لذا فإن جميع الأحداث السياسية الراهنة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المضمار يجب أن تكون لها صفة المثال وإن عدم التوصل من خلال هذه الأحداث إلى محاولة استخلاص النتائج المعبّرة يمكن أن تحول التدريس إلى حديث سياسي آني ومباشر لا يحقق الغاية على المستوى المطلوب، فضلاً عن أن التوغل في جزئيات الأحداث السياسية الراهنة وتفاصيلها دون التمسك بالخيط الرئيس الذي يقودها ودون ردّها إلى منطلقاتها يبعد المادة الدراسية عن الموضوعية ويجعلها تبدو وكأنها عملية دعائية خالصة ذات أهداف سريعة وقريبة[22].

---

[21] - ينظر، الشريف، جلال فاروق، محاضرة في التربية القومية، صـ 10.

[22] - ينظر، المرجع السابق، صـ 11.

إنَّ الطابع السياسي الراهن والمباشر هو الغالب على تدريس مادة الثقافة القومية، فالكثيرون من مدرسيها لا يجدون غير الأحداث السياسية اليومية مادة لدروسهم وهم حتى في هذا لا يتعمقون فيما وراء هذه الأحداث ويقتصر عملهم على سردها وإعطائها التفسيرات السطحية، هذا إذا لم يضخموها ويعطوها أكثر مما تستحقُ من اهتمام أو يؤولوها على نحوٍ خاطئ تماماً.

3- ضعف المنطلق العلمي والثوري في التحليل والتفسير:

إنَّ أيّة محاولة في التثقيف الإيديولوجي تصبح دون جدوى وقد تؤدي إلى سلبيات مؤذية إذا لم يتمّ التثقيف على أساس من العلمية في التحليل والتفسير لجميع الظواهر، ولن يتمّ هذا إلا بالإطاحة بالقوانين العامة لتطور المجتمع الإنساني والمراحل الثورية الرئيسة التي تمّ على أساسها هذا التطور، فضعف المنطلق العلمي والثوري في التحليل والتفسير هو السمة الغالبة التي تطبع الواقع الراهن لتدريس هذا المقرر. وكثيراً ما تتعايش التفسيرات العلمية والتفسيرات الغيبية جنباً إلى جنب نتيجةً لضعف الثقافة الأيديولوجية عند المدرسين أنفسهم.

إنّ الامبريالية العالمية مثلاً ظاهرة تاريخية ولها تحديدها العلميُّ وكذلك الصهيونية العالمية والعلاقة بين هاتين الظاهرتين قائمة ومحددة غير أنَّ ثمة فرقاً أساسياً بين أن نأخذ هاتين الظاهرتين على أنهما مسلمتان لا مبرر لتحليلهما وتفسيرهما وبين أن نتوصل إلى تحديد مفهوم كلّ منهما والعلاقة بينهما انطلاقاً من التحليل العلمي واستناداً إلى معطيات التطور التاريخي وقوانينه... إنَّ التعامل مع هاتين الظاهرتين يجب أن يتمّ دوماً استناداً إلى مضمونها الواضح المحدد، إلا أن كلاً منهما مجرّد لفظة ذات معنى عام أو أنّها مسلّمة لا تحتاج إلى نقاش وتوضيح وتحديد.

إنَّ اللفظة وفقدان الحدود الواضحة لبعض المسميات الأساس الواردة في التداول على المستويين الأيديولوجي والنضالي. هو من أبرز السلبيات في عملية التثقيف الأيديولوجي، ولا يمكن أن يتمّ هذا التثقيف ويحقق أهدافه إذا لم تسقط اللفظة وتظلّ المسميات حافلة دوماً بمضامينها العلمية القابلة للتحليل والتفسير والتحديد.

ثانياً: من حيث الأسلوب[23]:

إذا كان لكلّ مادة تربوية أسلوبٌ خاصٌ في تدريسها مرتبطٌ بطبيعة هذه المادة بالذات فإنّ النجاح في التدريس يتوقف على تطبيق هذا الأسلوب، فأسلوب تدريس مادة الثقافة القومية ذو أهميةٍ بالغة بسبب طبيعة هذه المادة بالذات ويمكن أن نحدد بعض السلبيات الواردة والمحتملة في أسلوب تدريس الثقافة في النقاط الآتية:

1- الطريقة الإلقائية:

لما كانت مادة الثقافة القومية يمكن أن تعدّ من قبيل الثقافة العامة، فقد اضطر بعض المدرسين إلى الاعتماد على مبادراتهم الشخصية في تدريسها سواء من حيث مضمونها أو من حيث أسلوب تدريسها، أمّا على صعيد المضمون فقد أشرنا إلى أنَّ الارتجال كان طابعه العام، أمّا على صعيد الأسلوب فقد اتخذ شكل ما يشبه الحديث الخاص بين المدرس والطلبة وغلبت عليه الطريقة الإلقائية شبه الخطابية وقد أدّى هذا إلى ضعف اهتمام الطلبة بالمادة وإلى اعتبارها ثانوية وضرباً من الدعاية السياسية ولاسيما أن الطريقة الإلقائية شبه الخطابية توحي بذلك، أضف إلى ذلك أنها تجعل الطالب مستمعاً أكثر منه مشاركاً ومن ثم لا تخلّف غير تأثيرٍ سطحي أقرب إلى الانطباعات العامة القائمة. في حين أن المطلوب هو إحداث تأثير بنّاء يسقط المفاهيم والمعلومات الخاطئة، ويقيم مكانها وجهة نظر في المسائل الأيديولوجية والسياسية المطروحة شرط أن تكون قابلة للإغناء والتطوير للتحول إلى عقيدة سياسية واضحة ومتماسكة.

---

[23] - ينظر، المرجع السابق، صـ 12.

2- فقدان الحوار الإيجابي:

لقد كان من نتائج ارتجال المضمون والطريقة الإلقائية في التدريس فقدان الحوار الإيجابي بين المدرّس والطلبة في مادة الثقافة القومية. والمقصود بهذا الحوار المناقشة المنطقية والموضوعية الهادفة التي تتوجّه إلى مخاطبة الفكر وتكوين القناعات عن طريق الإقناع.

إنَّ هذا الحوار هو الأسلوب الذي يتلاءم مع طبيعة الثقافة كمادة أيديولوجية قوامها الأساس . ليس نقل المعلومات إلى الطلبة شأن معظم المواد الأخرى . وإنما تكوين خلفية ثقافية فكرية عقائدية ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا عن طريق الحوار والإقناع. فالطالب شأن جميع المواطنين يصطدم في حياته اليومية بهذه المسائل الأيديولوجية ويجد نفسه بحاجة إلى تكوين وجهة نظر في عملية فهمها واستيعابها.

3- عدم تشجيع التثقيف الذاتي:

إن التثقيف الذاتي وتحويله إلى حاجة داخلية ملحة وسيلة أساس في تكوين الثقافة القومية عند الطلبة. وهذا التثقيف لا يتحقق على النحو المطلوب إلا إذا كان موجهاً من قبل المختصين المدرسين وذلك بتشجيع الطلاب على مطالعة كتب ومجلات وصحف محددة وتيسير سبل حصولهم عليها واستخدام وسائل الاتصال الجماهيري والدخول إلى المواقع الرسمية والحزبية والاستفادة من ما يصدر عنها من بيانات سياسية لها صلة بالموضوع المراد البحث فيه والتعمق.

إن السائد الآن لدى الطلبة ضعف هذا التثقيف أضف إلى ذلك أن أغلب المدرّسين يفتقرون بصورة عامة إلى ابتكار الوسائل العملية للحضّ عليه وترغيب الطلاب وإثارة اهتمامهم ببعض القضايا الأيديولوجية والسياسية والأساسية[24].

- مهام مدرس الثقافة القومية:

إنَّ تكوين وعي ثوري هو الهدف الأساس من الثقافة القومية. وهذا الهدف يجب أن يظلّ نصب أعين جميع مدرسي هذا المقرر والمشرفين على التدريس والممثلين بفرع الحزب. وبمقدار ما ينجح المدرسون في تكوين هذا الوعي عن طريق نقل مادة الثقافة القومية إلى الطلبة وتفتح أذهانهم عليها سواء على صعيد المضمون وعلى صعيد التطبيق والممارسة فإن الغاية من التدريس تأخذ طريقها إلى التحقيق.

وسنقدّم فيما يأتي بعض الملاحظات العامة التي استمدت من صميم هذا المقرر ومن واقع تدريسه بصورة عامة كما هو سائد الآن.

أولاً: في ثقافة المدرّس:

إن الشرط الأوليّ الأساس كي تحقق الثقافة القومية الأهداف المتوخّاة منها أن تكون لدى المدرّس ثقافة قومية اشتراكية شاملة ومتوازنة تتيح له أن يدرّس المنهاج الموضوع وعليه أن يتوسع في عملية التوعية والتثقيف بحيث يستطيع تحليل مختلف الظواهر الاجتماعية والأحداث اليومية السياسية منها وغير السياسية، ومن ثم تقديم تفسير لها مستمدٌ من المنطلقات النظرية لحركة الثورة العربية التي تعبّر عنها المبادئ الأساس لحزب البعث العربي الاشتراكي. ولكي يستطيع المدرّس أن يمتلك مثل هذه الثقافة يشترط فيه أن يكون مطّلعاً على 1- المنطلقات النظرية لحزب البعث. 2- مقررات مؤتمرات الحزب القومية والقطرية. 3- تطوير فكر الحزب منذ تأسيسه إلى الآن. 4- موجز التاريخ النضالي والمطبوعات الصادرة عن مكتب الثقافة والإعداد الحزبي. 5- سلسلة الأعداد الحزبي. 6- التطور التاريخي

[24] - ينظر، النداف، فارس، حول الثقافة القومية، صـ 9.

للأمة العربية. 7- تراث الفكر الاشتراكي. 8-الحركات السياسية في الوطن العربي. 9- واقع الوطن العربي وحركة التحرر العربية. 10- تاريخ العرب الحديث. 11- الربيع العربي وتصدي سورية للإرهاب.

وهذا يعني أن على مدرّس هذا المقرر أن يمتلك ثقافة عالية، وأن يكون لديه مراجع عديدة لهذه المواد التي أشرنا إليها، وأن يعود إليها باستمرار، وأن يقوم بالتثقيف الذاتي بصورة مستمرة كي يستطيع أن يدرّس المقرر وأن يتوسع في تدريسه إضافة إلى ذلك يفترض بالمدرّس متابعة الأحداث السياسية وغير السياسية المحلية والعربية والدولية وأن يكون جاهزاً دوماً لتحليلها وتفسيرها وتقديمها للطلاب.

ثانياً: في أسلوب التدريس:

إن لأسلوب التدريس أهميةً بالغةً في مادة الثقافة القومية لا تقلّ عن مضمونها، فكما يطلبُ من المدرّس أن يكون ذا ثقافة شاملة متوازنة جديّة ورصينة في المادة كذلك يجب أن تكون لديه قدرة كاملة على نقل هذه المادة إلى الطلاب وتحويلها إلى وعي ثوري وإلى قدرة يمتلكها الطالب تساعده على فهم الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتفسيرها. وهذا لا يتحقق إلا إذا توافرت في أسلوب التدريس شروط عديدة أهمها ما يأتي:

أ- التقيّد بالمنهاج المقرر تقييداً كاملاً.

إنَّ مادة الثقافة القومية تختلف اختلافاً أساسياً عن بقية المواد الأخرى التي تقيدك في الاختصاص من حيث كونها شاملة لمسائل فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية وتاريخية متداخلة فيما بينها، ومن العسير وضع حدود وحواجز فيما بينها ومهما حددت في منهاج مقرر فإن أيّ جزء من أجزاء هذا المنهاج قابل لأن يطرح هذه المسائل جميعها وتقسيمها إلى محاضرات لها غاية عملية بالدرجة الأولى هي تسهيل استيعاب هذه المادة على دفعات، والتقسيم هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على هذه الصعوبة، أي التقيّد بالمنهاج تقييداً كاملاً، أي إن على المدرّس أن يوزع المحاضرات على عدد الساعات، بحيث يقدم المنهاج كاملاً في نهاية الفصل، فهذا المنهاج هو الحد الأدنى المطلوب. والتوسّع والاستطراد وتقديم الأمثلة العملية المستمدة من الوقائع والأحداث اليومية يجب أن يظلّ دائراً في إطار الدرس المقرر.

ومن المزالق المعروفة في تدريس هذه المادة الواسعة المتشعبة هو الاستطراد في الجزئيات إلى حد الخروج عن المحاضرة المقررة، وقد يؤدي هذا الأمر إلى تشويش أذهان الطلاب وربما يجعلهم عاجزين عن إدراك الأفكار الرئيسة المطروحة في المحاضرة وتحديدها.

ب- تجنب الأسلوب الإلقائي الخطابي:

إنَّ كون مادة الثقافة القومية ذات طابع إيديولوجي سياسي يشجّع على الأسلوب الإلقائي الخطابي والتوجيهي المباشر، وإذا كان من المتعذر في بعض الأحيان تجنب استخدام هذا الأسلوب بسبب من طبيعة المادة إلا أنّه يجب عدم استعماله إلا في حدود ضيقة جداً ولفترة قصيرة من المحاضرة.

فعلى المدرّس أو المحاضر أن يتوجّه إلى أذهان الطلاب بحديث موضوعي هادئ متماسك بعيد عن الانفعال والإثارة والتقرير الصارم وأن يكون مستعداً باستمرار للإجابة عن أسئلتهم بهدوء وموضوعية ضمن حدود المحاضرة مهما بدت الأسئلة خاطئة، فالمحاضر مُلْزَم بأن يكشف عن الخطأ ويقدّم الجواب الصحيح. فأذهان الطلاب في هذه الفترة محشوة. في كثير من الأحيان. بتأثير البيئة ووسائل الإعلام الحديثة (**فيسبوك، انترنت، تويتر... وغيرها من قنوات الاتصال المتعددة)** بأفكار ومعلومات غير صحيحة لا بدّ من تبديدها بالحوار المنطقي والنقاش الهادئ الذي يحترم عقل الطالب وشخصيته ويعدّها ثروة يجب الحفاظ عليها ومحاولة إغنائها باستمرار بالأفكار والمعلومات الصحيحة.

ج_ تحضير المحاضرة:

إنَّ تحضير المحاضرة جزءٌ لا يتجزأ من عملية التدريس ومن الصعب النجاح في إعطاء المادة إذا لم يحددها ويحضّرها المدرس مسبقاً. والغاية من هذا التحضير اكتشاف المحاضرة لأبعاد محاضرته وما يمكن أن يتوسع فيه من جوانب. وما يمكن أن يطرح من تساؤلات كي يكون الردّ عليها جاهزاً. كما أن التحضير هو الوسيلة لإعداد الأمثلة التي يمكن استخدامها في الشرح والتوضيح.

د. الحوار مع الطلبة:

إن الحوار مع الطلبة للإطلاع على مستوى الأيديولوجية السياسية ونقل الوعي الثوري إليهم ولتصحيح الأفكار الخاطئة هو جوهر أسلوب تدريس مادة الثقافة القومية، وهذا الحوار يتمّ لا داخل قاعة المحاضرات فحسب وإنما خارجها أيضاً. لذلك يفترض في المدرّس أن يعرف طلابه وأن يحترم شخصية الطالب وأفكاره حتى لو وجدها تقوم على أسس خاطئة وأن يحاول تقويمها بالنقاش المنطقي الذي يتوخى الإقناع قبل كلّ شيء.

هـ- تشجيع حضور الندوات والمحاضرات والمطالعة:

على المحاضر أيضاً أن يشجّع الطلاب على حضور الندوات والمحاضرات الثقافية، لأنَّ أخطر ما يمكن أن يصيب الثقافة القومية هو أن يعتقد الطلاب أنّها اتجاهٌ من الاتجاهات السياسية وليست القاعدة الأساس لجميع الاتجاهات، إنَّ قضية الثورة العربية هي قضية الأمة وبالتالي قضية الجماهير. ومن أكبر الأخطاء أن يعتقد الطلبة أنها مجرّد اتجاه سياسي معيّن لفئة محددة من المواطنين. وعلى هذا الأساس فإن المرجو من هذه الثقافة أن تترسّخ في الأذهان وأن تكون منطلق الطلاب الفكري في فهم كلّ ما يحيط بهم، وضرورة فهم المؤامرة على هذه الأمة وعلى القطر العربي السوري متمثّلة بالعصابات الإرهابية التي تسعى إلى تدمير المجتمع وتقسيم المقسّم. وزرع بذور التفرقة بين أبناء الوطن الواحد والقطر الواحد.

الاستنتاجات والتوصيات:

من أجل الوصول بهذا المقرر إلى الغاية التي وضع من أجلها وهي تكوين خلفية أيديولوجية لدى الطلبة لا بد من:

1- توفر مدرّسين مثقفين أكاديميين مختصين في العلوم السياسية يستطيعون أن يحللوا الأحداث بطريقة علمية لأن الطلاب الآن أصبحوا خاضعين للمؤثرات الخارجية كافّة، فهو مع تطور وسائل الاتصال وتعددها، فالمطلوب من مدرّس الثقافة أن يكون قادراً على مناقشة الطلاب وإعطائهم المعلومات الصحيحة من القضايا التي تمرّ بها الأمة عموماً والقطر السوري خصوصاً من مؤامرات وإرهاب تقوم به العصابات المسلحة.

2- إحداث قسم لمدرّسي هذه المادة من حملة الشهادات العليا دكتوراه – ماجستير في العلوم السياسية ويلحق إدارياً هذا القسم بكلية الآداب في كلّ جامعة ويشرف على هذا القسم من النواحي التوجيهية فرع حزب البعث العربي الاشتراكي مع عقد اجتماعات دورية للجنة الثقافية والتعاون مع أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية.

3- يجب أن يشمل تدريس هذا المقرر ليس الجامعات والمعاهد الحكومية فقط وإنّما الجامعات الخاصة وأن يكون مقرراً واحداً بأهدافه ومواضيعه يدرّس لجميع الطلاب في القطر سواء الجامعات الخاصة أو الحكومية.

1 يجب أن يتمّ تعديل مفردات هذا المقرر وإضافة مواضيع جديدة تتصل بالواقع المعيش والأحداث الجارية مع التطرق إلى تدريس موضوع الإرهاب الذي يضرب بمنطقتنا العربية عموماً والقطر العربي السوري خصوصاً.

المصادر والمراجع

1 -إفليس، مأمون، تنمية المفاهيم السياسية لدى طلاب الصف العاشر، أطروحة دكتوراة بإشراف د.آصف حيدر يوسف، جامعة دمشق، 2014.

2 -خليل، عصام، الفكر القومي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، العدد 619، 2015.

3 -الخليل، مثقال خالد، كتابي التربية الوطنية للصف العاشر والسابع، رسالة ماجستير بإشراف د.إبراهيم المصري، جامعة دمشق، 2014.

4 -الشريف، جلال فاروق، محاضرة في التربية القومية، المدرسة المركزية الحزبية، التل، ريف دمشق، 1977.

5 -عزت، أحمد، قضايا الفكر العربي المعاصر، جامعة تشرين، اللاذقية، 2008.

6 -غانم، جمال، مناهج التربية الوطنية، أطروحة دكتوراة بإشراف د. صالحة سنقر، من دون تاريخ.

7 -الملحم، إسماعيل، الخصوصية في الثقافة القومية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996.

8 -النداف، فارس، محاضرة بعنوان تدريس الثقافة القومية، المركز الثقافي، العدوي، دمشق، 1994.

9- Nath Aldalala a, Arab Revolutions III, usions of Hope And Delusions of Possibility. Countercurrents 20 August, 2011. 2011 ،9-8 ترجمة: سليمان حسون، مجلة صفاف العدد دمشق

10- Bahar Kimyongur, Le l-errorisme- anl-I - Syrien el- ses Connexions inl-ernationales Investig, Action 17 avril 2012.

ترجمة حسان هاشم، المصدر مجلة صفاف، تصدر عن دار البعث بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، سورية، دمشق .

11 - Medilens– صحفي بريطاني متخصص في الشؤون الإعلامية "ليبيا، سورية... وتدخل الناتو، تر: هناء شروف، مجلة صفاف، صادر عن دار البعث بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، دمشق، العدد 8–9، 2011، صـ14.